مجلة دراسات تاريخية

ISSN: 9741-2352 EISSN :6723-2600

دور رحلات الرهبان في نشر الأنظمة الديرية وتأثيرها في أوروبا من القرن 4م إلى القرن11م

The role of Monks' travelers Journeys in spreading monastic systems and its influence in Europe from 4th century AD to the 11th century AD.

د.ة /ليلة أزرار
Lila Azrar
جامعة آكلي محند ولحاج –البويرة- (الجزائر)
عضو في مخبر التاريخ المحلي والذاكرة الجمعية.
l.azrar@univ-bouira.dz

د.ة/فهيمة سعودي
Fahima Saoudi
جامعة آكلي محند ولحاج –البويرة- (الجزائر)
عضو في مخبر التاريخ المحلي والذاكرة الجمعية.
f.saoudi@univ-bouira.dz

الارسال: 2022/02/27 القبول :2022/03/18 النشر:2022/04/16 المرسل: ليلة أزرار

الملخص: لقد ساهمت مختلف الرحلات التي قام بها الرهبان المسيحيين المصريين نحو الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط إلى دور فعال في انتقال أنظمة الأديرة وتعاليمها في مختلف أرجاء أوروبا وخاصة منها روما ، وشمال إفريقيا.

وبحلول القرن السادس ميلادي تطورت الأديرة وأصبحت على شكل مؤسسات دينية ذات قوة روحية رهيبة ، إذ عرفت اتساعا لم يسبق له نظير في العصور الوسطى . وكان أثره واضحا لدى رحالة الرهبان المسيحيين على المجتمع الأوروبي من مختلف الجوانب خاصة من الناحية العلمية، الثقافية والاجتماعية.

لقد كان للأديرة تأثير إيجابي على الحياة العامة في أوربا إلا أنها ساهمت في تدمير مجتمعه وذلك من خلال تشجيع العزوبة التي مزقت الأسروقلصت عدد أفرادها.

الكلمات الدالة : الرحلات، الرهبان، المسيحية ،الأديرة، أروبا .

Abstract : *The Egyptian Christian monks contributed with their various trips towards the western basin of the Mediterranean have played and effective role in the transmission of monasteries and their teachings in various parts of Europe, especially Rome and North Africa.*

By the sixth century AD, monasteries had developed and become religious institutions with a dire spiritual power, as they had known an unprecedented expansion in the middle ages. Their impact was clear to the Christian monks' travelers of European society from various aspects, especially in terms of scientific, cultural and social aspects.

The monasteries had a positive impact on public life in Europe. However, they contributed to the destruction of his society by encouraging celibacy, which tore families apart and reduced the number of their members.

Keywords: Trips, Monks, Christianity, Monasteries, Europe.

المقدمة:

أقيمت أغلب الحضارات الإنسانية عبر التاريخ على الجانب الروحي لعدة اعتبارات، مثل ما وجد لدى الحضارة العراقية والمصرية التي تؤمن بالحياة المادية بعد الموت ، وهذا ما حدث للحضارة الأوربية التي بدورها شهدت تطورا ملحوظا في الجانب الروحي، حيث في بداية ظهورها اعتنقت مجتمعاتها الديانة الوثنية ثم على الديانة المسيحية بعد اعترافها بها ،والتي ظهرت من خلالها حركات دينية شجعت الأفراد إلى الرحلات الدينية لنشر المذاهب المسيحية ومبادئها.

وفي القرن الرابع ميلادي، انتقلت الحياة الرهبانية الاجتماعية إلى أروبا بعدما كانت منتشرة في الشرق ،لكن بعد رحلة القديس **أثناسيوس الرسولي**(Athanasse the Apostolici) سنة (339م) إلى روما ،ورحلة القديس باسيل إلى مصر والشام ،أخذوا معهم الخبرة المسيحية والحياة الديرية وأسرارها ، فأصبحت بذلك الأديرة ذات أهمية قصوى ، وذلك من خلال الانهيار التعصبي للمجتمع الغربي إبان القرون الأخيرة من حياة الإمبراطورية الرومانية.

وبحلول القرن السادس ميلادي تطورت الأديرة، وأصبحت عبارة عن مؤسسة دينية واجتماعية مما جعلها تحتل مكانة عالية في المجتمع الأوروبي، فلها دور كبير وفعال في بعث الحضارة الأوروبية من جديد. من خلال ما ذكر سبقا سيتم الإجابة عن التساؤلات التالية : كيف ساهمت الرحلات الرهبانية المسيحية في نشر أفكار الرهبنة في الغرب اللاتيني؟ وما هي دواعي هذه المؤسسة؟ وما هي أنظمتها الديرية ؟ وكيف استطاعت أن تؤثر على الحياة العامة في أروبا؟

تكمن أهمية الموضوع في أنه يكشف الستار عن دور الرحلات الرهبانية في نشأة الأديرة وتطورها ،و باعتبارها مؤسسة دينية ذاع صيتها في أوروبا في العصور الوسطى ، والتي لها دور كبير في إخراج أوروبا من أزماتها الاجتماعية والدينية والاقتصادية والثقافية، وكذلك تسليط الضوء على أهم نشاطاتها في هذه الميادين، و وجب التعرف على أهم المبادئ التي تعتمدها و التعاليم المختلفة التي تصدرها إضافة إلى دورها في الجانب الديني والتأثير الذي لعبته هذه المؤسسة الدينية في المجتمع الأوروبي في مختلف الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية إلى آخره .

1-دور رحالة الرهبان المسيحيين في انتفال الأديرة إلى أروبا وتطورها:

1-1-رحلات الرهبان وحياتهم الديرية :

انتشرت الديانة المسيحية في أروبا عهد الإمبراطور **قسطنطين** الأول(Constantine I)(306م-337م) في أوائل القرن الرابع ميلادي، حيث دعا أوائل الأمر إلى مهادنة الديانة العامة، ثم أعلن المسيحية دينا رسميا للدولة سنة (313م) بمرسوم ميلانو ، والذي يقضي بإضفاء الشرعية على العبادة والشعائر المسيحية وعلى الصورة التي

وضعها في المجمع الذي عقد في نيقية سنة (320م)، [1] وهو الأمر الذي سهل في انتقال تعاليم الرهبنة والأديرة من مصر إلى أوروبا على يدّ القديس **أثناسيوس** الرسولي .و الذي كان بطريقا في كنيسة القبطية لقب بالرسولي ،وحامي الإيمان تلقى علومه الدينية اللاهوتية مع انطونيوس الكبير (Anthony The Great) ،[2] لكن تم عزله من كرسيه، فرحل إلى روما سنة (339م) وأخذ معه كتابه المسمى "حياة القديس انطونيوس الناسك المصري" المشهور في أروبا[3].

و كما ساعد على انتشار الأديرة في أروبا **كتيبات** عدد من القديسين وخاصة **أوغسطين أوف هيبو** (Auqustine of Hippo)[4]، ومن أهم مؤلفاته نجد المدينة السماوية[5]. وكذلك نجد القديس **جيروم**(Saint Jérôme)[6]الذي ترجم حياة الرهبان المصريين وأنظمتهم[7]،وكتاب **بالاديوس**(Plladuis) المعروف باسم "بستان الرهبان" والذي تحدث عن حياة الرهبان في مصر، و بهذا انتقلت الحياة الرهبانية الاجتماعية إلى اروبا.

بدأت الحياة الديرية تأخذ شكلها النظامي على يد القديس **بازل** (Saint Basel)[8] الذي قام بعدة رحلات إلى مصر والشام ثم عاد إلى بلاده مكتسبا الخبرة المسيحية والديرية وأسرارها، حيث وضع عددا من القوانين الديرية. ومن أهم الإصلاحات التي قام بها هي تقليل من عدد الرهبان بكل دير مما يسهل على رئيس الدير التعرف على رهبانه وتزويدهم بتوجيهات وإرشادات وليشجع الحياة في الرهبانية ونظمها تنظيما دقيقا، كما حدد نوع وشكل الملابس التي كان على الرهبان ارتدائها.[9]

بالرغم من هذه التنظيمات التي وضعها **بازل** في حياة الأديرة إلا أنه لم يترك لنا قانون بمعنى المفهوم، حيث اتفق المؤرخون على أن انتقال الأديرة إلى أوروبا كان عن طريق رحلة الحجاج الغربيين والوافدين من روما وغاليا وإسبانيا ،فهم من نقلوا فكرة الأديرة إلى الغرب الأوروبي بفضل **جيروم** سنة (404م) والذي قام بترجمة نظام باخوم[10] الديري إلى اللاتينية.[11]

1-2-الأنظمة الديرية في الغرب الأوربي:

دخلت فكرة الديرية إلى إيطاليا في القرن الرابع ميلادي ،لكن لم يتم انتشارها إلا في القرن الخامس ميلادي ، [12]في أوائل القرن السادس ميلادي ظهر القديس " **بندكت**"[13] (Saint Benedict)الذي أدخل نظامه الديري على أساس الحياة الاجتماعية للرهبان في الأديرة، لها قوانينها وتقاليده وأنظمتها ،وقام بتأسيس أول دير معروف باسم "**مونة كاسينو**"،حيث اهتم بحاجات الراهب البشرية على جانب التزاماته الروحية.[14] ويقوم نظامه على التبتل والطهارة ونكران الذات والطاعة العمياء،[15]وأدخل كذلك النظام اليدوي والذهني في النشاط اليومي للرهبان.

و كانت الأديرة البندكتية منارة للعلم بعدما كانوا يعيشون في الجهل، لأن بندكت أوجد في كل دير مكتبة لنشر الكتب، وتشجيعا للذين يحبون الكتابة والتأليف.[16] ومن أهم القواعد أيضا للقديس **بندكت الديرية** نجد: وجوب تخلي الراهب عن أملاكه الخاصة لصالح الفقراء والدير، وعلى رئيس الدير أن يستشير للرهبان في كل ما يتعلق بشؤون الدير قبل أن يتخذ القرار. كما ركز بندكت على أن يكون العمل ركن أساسي من أركان النظام

البندكتي،[17] وعلى الراهب أن لا يقيم بشكل دائم في الدير ،[18] إضافة إلى تطبيق الفضائل المسيحية وذلك بالدير والأب.

واعتبرت القوانين البندكتية من أعظم **الوثائق التي خلفتها لنا في تاريخ العصور الوسطى** في قوانين الأديرة، كما كان لها الأثر العظيم في تطوير الحياة الديرية المنظمة وذلك بتجريد الراهب من أي ملكية مستحقة؛ والامتناع عن تناول اللحوم إلا في حالة المرضى؛ والعمل اليدوي المستمر؛ والملازمة الدائمة للدير. وقد أهملت هذه القاعدة الرابعة كما أهملت القواعد الأخرى فقد طرح جانب أمرّ فإلزام الراهب بالبقاء بالدير يعتبر كنوع من العقوبة، وقد نرى أن القواعد الأربعة العليا البندكتية قد اهتزت جذورها وبدأ الانحلال والانحراف[19].

بالرغم من جهود **بندكت** التي كان لها الدور الكبير في الحياة الديرية، إلا أنه كانت هناك شخصيات من راء **بندكت** نفخت في الحركة الديرية بإيطاليا روحا جديدة. ومن هذه شخصيات نجد **كاسيدور** الذي يعدّ الشخص الثاني الذي ترك أثر كبير في تطور الديرية في إيطاليا بل في غربي أوروبا،والذي أسس ديره في إيطاليا حيث جعل من الدير مدرسة للعلم والمعرفة لا معرفة اللاهوت والعلوم الدينية فحسب بل العلوم الدنيوية لعقولنا من أجل فهم الإنجيل والكتابات الدينية عن طريق دراسة الأدب.[(20)]وكذلك نجد **جريجوري الأول**(Grégoire ler)هو الدير الذي أصبح البابا فيه يقوم بدور المنظم للحياة الديرية في غرب أوروبا.[21]

في أواخر القرن التاسع ميلادي دب التدهور والانحطاط في الأديرة البندكتية حيث تسلط العلمانيون من أمراء وحكام عليها[22] و تسلطوا على الكنائس العصرية، وأخذوا يعينون رؤساء الأديرة والكنائس مما يخدم المصالح السياسية والاقتصادية[23]، وهذا ما أدى إلى ظهور حركة الإصلاح من طرف الباباوات والأساقفة الذين وخزّهم ضميرهم لهذه الحالة التي انتشرت بموجبها الانحلال والانهيار .[24]

وفي سنة (910م) أسس **ويليام التقى** (William met) دوق أكوتين دير كلوني بقرب مدينة ماكون (Macon)،[25]حيث بنى ديرا ضخما سماه دير كلوني به غرف فرعية تتسع لمئات الراهبات .[26]كان بناؤه قد أوحى بظهور حركة جديدة الا وهي حركة إصلاح الأديرة . وتخرج من هذا الدير على وجه الخصوص الباباوات والأحبار ووزراء الدولة، مثل البابا **أوربان الثاني**(**Urbain II**)[27].وتولى رئاسة الدير عدة شخصيات مهمة كالقديس **أودو**(Oddo) سنة (942م) والقديس **أوديلو** (St. Odilon) (994م-1049م).

لكن الدير الكلوني ظل مستقلا عن باقي الأديرة من حيث إرادته ،[28]فقام **ويليام** المدعو" **دوق ويليام**"(WILLIAM) بإصدار ميثاق يقضي بتوظيف رئيس الدير، يعمل تحت يده إثنا عشر راهبا يقوم بانتخاب رئيس الرهبان، وأن يتولى البابا رعايته كونه ديرا ضخما له تأثير في الوسط المسيحي.[29]

وضع رهبان الدير الكولوني خطة عامة وشاملة للإصلاح تمثلت في وضع ثلاثة بنود و هي: إعلان الحرب على السيمونية التي دمرت الكنيسة،[30] ، إجبار الرهبان على الالتزام بحياة العزوبية، وتطهير حياة رجال الدين الشخصية التي كانوا مستبعدين لها[31]، والتي قامت بدورها على الأسس التالية: تحرير الدير من كل سلطة

علمانية ،و تحريره من سلطة الأسقف الروحية ،و ارتباط رئاسة الدير الكلوني بالبابا مباشرة ،وخضوع جميع الأديرة الكلونية إلى نظام مركزي يرأسه الأب ويكون مركزه في كلوني وله مطلق السلطة على تلك الأديرة وله السلطة على الأديرة الفرعية الأخرى.[32]

تولى الراهب **أودو**(Udo) منصب رئيس دير كلوني سنة(926م) ، و ركز جهوده لجعل ذلك الدير مركز للإصلاح الديني . ومع حلول منتصف القرن العاشر كانت خمسة من الأديرة تخضع لسلطة الدير الكلوني[33] ، منهم دير **جورز**(Gorze) ودير في **فليري** (Fleury) الملكي الفرنسي،[34]وكذلك دير ديجون (Dijon)الواقع في نورماندیا .[35]

ولم يلبث النظام الكلوني إلا أن تطور وأتسع أفقه.

في القرن الحادي عشر سعت الأديرة نحو إصلاح الكنيسة إصلاحا شاملا، وامتد ذلك إلى غاية منتصف القرن الحادي عشر ميلادي ولقد ظهرت أهم الأنظمة الديرية الجديدة وهي: النظام الكاملدولي (Camaldoli)والذي اعترفت به البابوية سنة 1072 ميلادي،[36] والإخوان جراند مونت (Ordre Of Grand Mont) والتي تأسست عام (1073م-1076م) والتي تشبه إلى حد ما جماعة كلوني،[37]وجماعة الإخوان السيترشيان (Cistercian order): وأسسها الراهب الفرنسي سمى روبرت(Robert) سنة (1098م)، ويقوم على العودة إلى تعاليم البندكتية، مع إدخال شيء من التصوف.[38]

2-تأثير الهيئات الدينية و الرحالة الرهبان على الحياة العامة في أروبا :

2-1-نشاط الهيئة الداوية و الإسبتارية في أروبا في العصور الوسطى:

أشار بعض الباحثين وعلى رأسهم المؤرخ محمود سعيد عمران عن فضائل والدور الحضاري الذي قامت به الأديرة في أوروبا في العصور الوسطى، ولا شك أن انتشار الحركة الديرية بفضل رحالات الرهبان في أوروبا،و بصورتها المتنوعة قد ترك أثر واضح في جميع نواحي الحياة التي ساهمت بدور كبير في جميع المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، كما لعبت الأديرة دورا هاما على الصعيدين السياسي والعسكري ،ويقتصر هذا الدور على : الهيئة الداوية و الهيئة الإسبتارية.

الهيئة الداوية والتي أسسها **هيو دي باين**(Hugh De Payne) سنة (1118م) في بيت المقدس[39]، حيث اتصفت بطابع عسكري ديني وذلك من أجل محاربة المسلمين وحراسة الحجاج المسيحيين في بيت المقدس .[40]و في سنة (1128م) وضعت الداوية أنظمتها في فرنسا وبعدما اتجهت إلى إنجلترا على يد الفرسان والنبلاء ،وكان أول هدف عملت عليه الداوية هو حماية الطرق بين بيت المقدس وشاطئ البحر.[41]

أما فيما يخص **الهيئة الإسبتارية:** ظهرت على يد تجار مدينة **أمالفي** (Amalfi)،[42] الذين قاموا برحلة إلى بيت المقدس من أجل العبادة والعمل ،فتوودوا إلى الخليفة المصري ،فسمح لهم بتشييد دير سمي باسم مريم العذراء سنة(459هـ/1080م)، وأقيم أمامه مستشفى لرعاية المرضى .[43]

تحولت الهيئة الإسبتارية بعد ذلك من هيئة خيرية ترعى المرضى والفقراء إلى هيئة خيرية عسكرية لها نشاط حربي واسع .[44] وتكونت الهيئة من الهيئات الدينية الأخرى من الإخوان الرهبان والإخوان الخدم. وبعد ذلك عرفت باسم هيئة الفرسان الإسبتارية[45].

ومن أهم الأنشطة العسكرية التي قامت بها هذه الهيئة مثلا: الاشتراك العديد من المعارك ضد المسلمين منها: المشاركة في الحملة الصليبية الثانية وحصار دمشق سنة(542هـ/1148م) من أجل استرجاع الرها ،[46]لكنهم فشلوا . كما شاركت معهم في حصار صور سنة (583هـ/1187م) من أجل تعويض رجالهم بالخسارة في معركة حطين[47]،وشاركت في حصار عكا في أواخر صفر سنة (573هـ/1177م)،الذي انهزمت فيه هذه الهيئة .[48]

2-2-تأثير الأديرة في الحياة العامة في أروبا :

كما كان للأديرة دور في الجانب الاجتماعي والاقتصادي فالأول من جانب الحياة الاجتماعية إذ نجد أن للأديرة دور إيجابي فيها حيث ساهمت في تخفيف ما يعانيه المجتمع الأوروبي من الكوارث والأزمات، حيث أهتم الرهبان بتخفيف مآسي الفقراء والمساكين، وقاموا بتوزيع الصدقات المخصصة لهم من طرف المحسنين، ومن ذلك أصبحت الأديرة ملاجئ للمرضى والجرحى والمنكوبين والمعدومين، وقدمت لهم خدمات طبية وغذائية،[49] وقد كانت هناك أعداد كبيرة من الناس تزور بيت المقدس بفضل تشجيع الأديرة، وضلت حركة الذهاب لزيارة بيت المقدس قائمة إلي أن بدأت الحرب الصليبية،[50] كما كانت هناك مرافق مناسبة لاستخدام الرهبان لاستضافة الضيوف القادمين من مدينتهم، وكان الهدف من كل هذه الخدمات هو قيام حياة أنقى وأكثر طهارة في بداية الأمر[51]، كذلك ساهموا في بناء المستشفيات وخدمة المرضى ومساعدة الفقراء وتعليم الصغار مبادئ القراءة والكتابة،[52]حيث وضعت أيضا أمكنة كرس فيها الرهبان وقتهم للصلاة والعبادة علي مغربة من الغير مقدس الذي يطلق عليه العرب اسم الضريح المقدس أو كنيسة القيامة،[53] لأن الأديرة تراكض الفارون من غضب الملوك وحق الأمراء معهم في تلك الأديرة، فقد كانت الحياة الرهبانية جذابة للراغبين في الانخراط في سلك الرهبنة،

أما عن حياة الرهبنة داخل الديرة فقد امتازت بالمساواة والعدل، ولعل مثال على ذلك الحياة البندكتية التي امتازت بالمساواة القائمة بين أعضائه فالحر والعبيد والشريف والوضع كلهم سواء دون أن يكون هناك فضل عن الآخر إلا بالعمل الطيب، فقد كانت العبادة الركن الأول من أركان الحياة الديرية،[54] أما الدير الكلوني الذي يستهدف إصلاح الحياة الاجتماعية وحدها، قام بمحاربة الفساد والرشوة التي كانت في المجتمع الأوروبي،[55] إذ أنها كانت تقيم فنادق متنوعة للمسافرين سواء للرجال أو النساء، أما الفقراء منهم فقد عفتهم من دفع الأجور.

والجدير بالذكر أن الأديرة الكولونية كانت تقوم بأعمال خيرية ، إذ أنها كانت تراعي الفقراء والمتسولين وتعمل علي إيوائهم وإطعامهم[56]، ومنه فان الأديرة في العصور الوسطي لعبت دور كبير في خدمة المجتمع فهي كانت مركز للأعمال التبشيرية إلي حد أصبحت مؤسسة اجتماعية تلبي حاجيات المجتمع الأوروبي، كما لعبت دور كبير في إصلاح الكنيسة الداخلية وذلك من خلال محاربة الفساد الذي عم الكنيسة وتحريرها من الأحكام العلمانية ومن سيطرة الأساقفة المحليين.

كان للأديرة دور في الحياة الاقتصادية وذلك من خلال مشاركة الديريين الفعالة في عالم الإنتاج الاقتصادي والزراعي والصناعي والتجاري وتربية الحيوانات في أوروبا الغربية، قام الرهبان بتعميم الأراضي الجديدة التي استقروا بها.[57] فكانوا يقومون بعملية النسيج والصباغة ودبغ الجلود وصناعتها.[58]

كانت الأديرة من المؤسسات الدينية التي منحها ملوك أوروبا الكثير من الإعفاءات والامتيازات، حيث صار الديريون الأكثر ملاك للأراضي الزراعية وأصبحوا يمتلكون خبرة كافية و التي تشهد بها سجلاتها على مدى العناية والكفاية،[59] على سبيل المثال نجد الرهبان السيرتشيان الذين كانت لهم خدمة كبيرة في الحياة الاقتصادية في أوروبا، حيث قاموا باستصلاح أراضي البورة والعناية بتربية الخيول والمواشي، وقد نال هذا الفريق من الديريين شهرة كبيرة بالعناية بأصواف الأغنام .[60]

كانوا يحتفظون بالمال في صندوق متين كذلك ظهر نظام الدفع والشيكات، ورأي محمد الخطيب دور الأديرة مقتصرة على التجارة وذلك من خلال بيع الموارد النادرة كالفلفل والبهارات والبخور والأقمشة التي كانت غرب بحاجتهم.[61]غير أنها لم تتسع وذلك يعود للأسباب التالية: مواقف الكنيسة التي كانت الطرق التجارية ونجد طريق بين إيرلندا والشرق، وظهرت هيئات خيرية.

ونجد أيضا أن الأديرة لها دور في الجانب الثقافي، حيث ركزت على التعليم ونسخ الكتب في مدارسها بتعليم الصغار والكبار حيث انتقلوا من تعليم القديم إلى التعليم في العصور الوسطى، [62]وقد اهتمت المدارس الديرية بتدريس اللاهوت والموسيقى الدينية والكتاب المقدس ونجد الأديرة البندكتية التي ضلت تؤدي رسالتها التعليمية والثقافية،[63]حافظت كذلك على الدراسات الكلاسيكية الرومانية إلى جانب الاهتمام بالشؤون الدينية، حيث وجدّ نواة مكتبة ومكان للنسخ والمخطوطات،[64] كذلك ظهور الترجمة التي أثرت في تفكير العصر الوسيط وظهر العديد من المؤلفين .

كما اهتمت الاديرة بالشعر الأمر أدى إلى انتشار الترانيم و الترانيل والأناشيد الدينية، وبذلك ساعد على انتشار المسيحية ومن بين الشعراء نجد:[65] القديس أمبروز(Ambrose) و القديس والشاعر **برود تنيوس(** Saint Brode Tenions**)**.[66]

و اهتمت أيضا الأديرة بعملية الحساب عن طريق اللوح المقسم بخطوط طويلة استطاعوا أن يجروا عمليات الجمع والطرح، استمروا في ذلك حتى جاء القديس جلبرت (Gilbert)، حيث اخترع الأعداد ولم تكن معروفة، ولكن تم تسجيلها من بعدها القديس "**ردولف فون لاون** (Rodolf Von Laon) [67].

ولذلك يمكننا أن نصف ثقافة العصور بأنها ثقافة ديرية بأتم معنى الكلمة وظلت الأديرة تمثل عنصر الاستقرار الوحيد للمجتمع الأوروبي، فهي أعظم المراكز الثقافية والحضارية في العصور الوسطي إلي حد أن وصفها بعض المؤرخون علي كونها جزر مضيئة ، ومن خلالها ينبع بريق المعرفة في وسط واسع الظلمات، فقد أنقذت الأديرة تراث أوروبا الفكري من الضياع في وقت لم توجد قوي أخري تعمل علي تحقيق هذه الغاية .

من مجموع المنابع الاقتصادية كان الرهبان ينفقون على أنفسهم ويقدمون لزائريهم ما يحتاجونه ، كذلك فقد كانوا يقدمون لهم الغذاء والأقمشة التي قاموا بنسجها للفقراء عملا بتعاليم الانجيل ، كما كانوا يرسلون سفنا إلى الاسكندرية محملة بالقمح لتوزع على المسيحيين المحبوسين في سجونها، وعلى الغرباء والمساكين والمحتاجين

ولقد أشارت بعض المصادر التاريخية كالمعلومات التي دونها الرحالة : " روفينوس" الذي زار نيتيريا عام (374م) أن الحالة الاقتصادية للرهبان والأديرة كانت في أوج ازدهارها.[68] و لقد ساهت هذه العادات في انتشار المسيحية في جميع ربوع أوروبا وأثرت على الحياة الاقتصادية والاجتماعية فيها .

بعد انتشار الأديرة في أوروبا وتحديدا بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية في الغرب سنة 476م ازدادت سلطة الرهبان وارتفع شان البابا في أوروبا ، وتهيأ للكنيسة في تلك الفترة سلطان واسع في شتى الميادين الروحية والسياسية .[69]

غير أن الكنائس بسطت نفوذها على التعليم في المدارس والجامعات واحتكرت سلطة تفسير ما جاء به الكتاب المقدس ، وفرضت على المعلمين نهجها الذي حول مراكز التعليم لأوكار للتخلف والرجعية، والاستبداد فسارت الجامعات في ركابها وخنقتها الأديرة والكنائس و الباباوات بالأوامر والتعليمات فأصبحت المراكز التعليمية تلقن طلابها ما يسمح به هؤلاء وتحبس عنهم ما يحرمونه، حتى أضحت تهيمن على جميع ميادين البحث العلمي دون استثناء ، وفرضت عليها ما تراه حقا استنادا إلى القوة التي تتمتع بها سواء الروحية أو السياسية. و وضع رجال الدين في تلك الفترة أنفسهم في مرتبة علماء المتطلعين على جميع أمور الدنيا والدين، واتخذوا من الكتاب المقدس المصدر الوحيد الذي يجب على الجميع أن يعتد به، وكل من يقول عكس ذلك يضطر لتحمل العقاب والجزاء، [70] وهنا يتبين لنا أن الكنيسة كانت ذات تأثير سلبي و ايجابي على المجتمع الاوروبي في نفس الوقت، ففيما يخص الجانب العلمي والفكري فقد كان تحد من فرص التقدم والتطور، وتعيق جميع أشكال الفكر والمعرفة، ولذلك انتشر في أوروبا في تلك الفترة الجهل والفكر الخامل .[71]

أما فيما يخص الجانب الديني والاجتماعي فبعد انتشار المسيحية في أوروبا اشتد التنازع بين الطبقات المجتمع في القرن (3م) ، بالرغم من صدور قانون يقضي بمنح الجنسية لجميع سكان الامبراطورية الرومانية ، وكان ذلك بالتحديد في عهد الامبراطور كراكلا سنة(1212م)، وقد زاد هذا التنازع بين الطبقات بعد انتشار المسيحية بين عامة الشعب بسبب ما لقيته اتباع الدينية الجديدة من اضطهاد .

لقد وضع الرهبان داخل المجتمعات الأوروبية فلسفة الديانة المسيحية فيما يتعلق بالجانب الأخلاقي والأخروي لتنتشر بذلك المسيحية خاصة وان هذه الديانة قد اشبعت الفراغ الروحي الذي كان يعاني منه سكان الإمبراطورية.

أما الجانب السياسي والإداري فقد انتظم المسيحيون منذ ظهور هذه الديانة في كنائس يوجه كل منها أسقف المنتخب يؤدي مهامه. وتدريجيا تشكل تسلسل المناصب داخل الكنائس بطريقة أشبه بتلك التقسيمات الإدارية في الامبراطورية الرومانية ، حيث أصبح هناك سنة بطاركة يتوزعون على أمهات المدن المسيحية وهي: الفرس، أنطاكية، الإسكندرية، القسطنطينية، روما، قرطاجة. ولقد استدعى محاكاة الكنيسة للنظم الادارية الرومانية قيام شخصية عظيمة على رأسها تماثل الامبراطور ولقد صارت الكنائس كقوة روحية وسياسية فازداد نفوذها وتضاعفت ممتلكاتها ، وكان أسقفها يتخذون لأنفسهم صفة الحكام الدنيويين ، فيمتلكون الأراضي ويشرفون على الأعمال العامة ويجمعون الضرائب.[72]

الخاتمة

كان لرحلات الرهبان من مصر إلى أروبا دور هام في انتقال الأديرة وتعاليمها وأنظمتها، ومما سهل عليهم الأمر بالإعتراف بالديانة المسيحية كديانة رسمية من طرف الإمبراطور قسطنطين الأول لروما. و كما ساهمت رحلات الحجاج الوافدين من روما وغاليا وزوار الأديرة الباخومية المتأثرين بمبادئها وتعاليمها.

ولكن لم تأخذ الأديرة شكلها النظامي إلا على يد القديس بازل في القرن الخامس ميلادي نتيجة لرحلته التي قام بها من مصر والشام وعودته إلى بلاده مما أدى إلى تأثره بأديرتها، فقام بتشييد الأديرة في أروبا مع التقليل في عدد الرهبان في الدير .

وبحلول القرن السادس ميلادي تطور نظام الأديرة وأصبح على شكل مؤسسة اجتماعية ذات قوة فعالة في مجتمع أروبا ،وذلك على يد القديس بندكت الذي وضع لها قوانين ومبادئ، والتي كانت تلائم العقلية الغربية ومناخها. وبعدها جاءت الأديرة الكلونية التي تمثل الدور الثاني في تاريخ الأديرة الغربية ، والتي جاءت بغرض الإصلاح الديني .

ونظرا لسرعة انتشارها، أصبح للمؤسسة دور كبير في الحياة العامة بأروبا نظرا لتعاليمه ومبادئها ، والتي تجسدت أساسا في الزهد ، والاعتكاف ، والابتعاد عن ملذات الحياة ، والتعاون و التضامن والمساواة ، الأمر الذي جعل منها محل ثقة في المجتمع الأوروبي بالرغم من أنها دخيلة عليه . و على رغم من أن الأديرة مؤسسة ذات طابع ديني إلا انها اهتمت بالعديد من مجلات الحياة اليومية المادية كالتجارة والزراعة.

ظلت هذه المؤسسة تمثل عنصر الاستقرار في المجتمع، غير أن لها سلبيات أبرزها : أصبحت مؤسسة تمثل عامل من عوامل التفكك والانحلال وذلك بتمزيق الأسرة. و كذلك التزام المؤسسة الديرية بحياة العزوبة

أدى إلى نقص عدد كبير من أفراد المجتمع، و تمسك المؤسسة بمبادئها المسيحية وتعصبها ضد الوثنية الذي بدوره أدى إلي تدمير التراث الحضاري الكلاسيكي.

كما دعمت الأديرة جهاز القضاء الذي يخدم مبادئهم الخاصة، وأيضا حاولت القضاء على نشر العلم ومنع المدرسين من تقديم الرسالة التعليمية الصحيحة كونهم يحرقون المكتبات التي تحوي علوم الأولين وآدابها، مما جعل المجتمع الأوروبي يعيش أحلك فترات التطور العلمي والمعرفي وأكثر الأوقات جهلا وتخلفا.

الهوامش:

[1]- أبي العباس القرطبي، **حوار الأديان** ، تحقيق: أحمد الحجازي السقا ،د. ط ، العربية للطباعة والنشر ، د.ت، ص.27.

[2]- ولد سنة 251م ببلدية بني يوسف، حيث تنسك أولا في أطراف قرية ثم أحث يتوغل في الصحراء الشرقية حتى وصل بجوار ساحل البحر الأحمر ووضع ديار هناك حيث أنه زار روما سنة356 حيث كان له العديد من الأديرة ، أنظر: مؤلف مجهول: **بستان الرهبان لآباء الكنيسة القطبية** ،ط.1، مراجعة وتنقيح: لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف و البهسنة، 1684م، ص. 449.

[3]- نعيم فرح ،الحضارة الروبية في العصور الوسطى، الطبعة الثانية، مديرية الكتب الجامعية والجمعيات التعاونية للطباعة، سوريا، 2000م، ص.161.

[4]- ليساوريس ابن المقفع، **تاريخ مصر من بداية القرن الأول ميلادي حتى نهاية القرن العشرون من خلال مخطوطات التاريخ البطاركة** ، تح: عبد العزيز جمال الدين ،ط.1، مكتبة مدبولي ،2006م ،ج.1 ،ص.61.

[5]- نفسه ص 62.

[6]- محمود محمد الحويري، **رؤية سقوط الإمبراطورية الرومانية** ، ط.1 ، دار المعارف ،القاهرة ،1995م،ص.73.

[7]-جوزيف نسيم جوزيف، **الإسلام والمسيحية والصراع القوي بينهما في العصور الوسطي**، ط.1، دار الفكر الجامعي، 1986م، ص154.

[8]- محمد الخطيب، **حضارة أوروبا في العصور الوسطى** ،ط.1 ، علاء الدين للنشر، دمشق، سوريا ،2006م ،ص.112.

[9]- سعيد عبد الفتاح عاشور، **تاريخ أروبا في العصور الوسطى، نظم الحضارة** ، دون طبعة، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ، 1959م،الجزء الثالث ، ص.133.

[10]- **وضع باخوميوس** سنة 330م قواعد حياة الشراكة الرهبانية بنظام العبادة والعمل. أنظر: الأنباصرابامون، **قصة الدير قديس الأنبا بيشوي بين الأمس واليوم**، الطبعة الأولى، دار الأنبا رويس الأوفست، مصر، 1991م، ص 48

[11]- سعيد عبد الفتاح عاشور، نفس المرجع،ص.133.

[12]- جفري يرون، **تاريخ أروبا الحديث** ، ترجمة: علي المرزوقي، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 2006م، ص.73.

[13]-ليساوريس ابن المقفع، **تاريخ مصر من بداية القرن الأول ميلادي حتى نهاية القرن---العشرون من خلال مخطوطات التاريخ البطاركة** ، ترجمة: عبد العزيز جمال الدين ، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي ،2006م، الجزء الأول،ص.71.

[14]- نسيم جوزيف، **المرجع السابق** ،ص.154.

[15]- نفسه.

[16]- محمود سعيد عمران، **حضارة أروبا في القرون الوسطى**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1998م، ص104.

[17]- نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أروبا، دار الفكر، بيروت، د.ت، ص.142.

[18]- نعيم فرح ،المرجع السابق ،ص.235.

[19]- ابن كثير، **البداية والنهاية، تح.: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط.2، هجر للطباعة والنشر و التوزيع**،1997م، ج.2، ص 531.

[20]- سعيد عبد الفتاح عاشور، **المرجع السابق**، ص.138.

[21]- نفس المرجع ،ص.139.

[22]- الجندي أنور ، **التيارات الوافدة** ،ط.1، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994م ، ص.ص.34-341.

[23]- نعيم فرح، **المرجع السابق** ،ص.241.

[24]- أشرف صلاح محمد سيد، **قراءات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** ،ط.1 ، لمؤرخ الصغير ،لبنان ، 2008م ،ص.51.

[25]- **محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص.104.**

[26]- Logan, Donald and author, edit. The Vikings history rout ledge, London, 1992, p106

[27]- أ.ل. فيشر، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطي**، ترجمة محمد مصطفي زيادة، دار المعارف، مصر، 1966م،ص.ص.143-147.

[28]- محمود سعيد عمران ، المرجع السابق،ص.104.

[29]- Logan, op. cit. , p.106.

[30] -كابان عبد الكريم علي، **الإصلاح الديني في المسيحية مقارنة بالإصلاح الفكري في الإسلام** ،ط.1 ،دار الدجلة ، الأردن،2010م،ص.49

[31]- نعيم فرح، **المرجع السابق**،ص.242.

[32] - Online, John , The catholic , edit. Formation, Fordham, University press, New York, 1992, P.98.

[33] - Logan , op. cit. ,p.107 .

[34]- كانتور نورمان، **العصور الوسطى الباكرة(القرن الثالث ، القرن التاسع)،تر.** عبده قاسم عبده، د..ط. ،عين الدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية، القاهرة،1993م،ص.450.

[35]- كانتور نورمان، **نفس المرجع**، ص.369.

[36]- نعيم فرح، **المرجع السابق**، ص.244.

[37]- جوزيف نسيم يوسف، **حضارة**، ص.32.

[38]- **نفس المرجع** ،ص.158.

[39]- محمود سعيد عمران، **حضارة** ، ص.113.

[40]- نبيلة إبراهيم مقامي، **فرق الرهبان في بلاد الشام في القرنين 12/13م** ، مطبعة جامعة القاهرة ،الكتاب الجامعي ،1994م ، ص 16 .

[41]- محمود سعيد عمران، حضارة، ص.114.

[42]- محمد مؤنس عوض، **الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب في القرنين 12م/ 13م** ،ط.1، كلية الآداب، جامعة عين الشمس، 2000م، ص.119.

[43]- سهيل زكار، **الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية**، الروايات الروبية، دمشق، 1995م،ج.1، ص.ص.88-89.

[44]- سعد رستم، **الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم**، ط.1، دراسات تاريخية، بنية سياسية اجتماعية، دمشق، 2003م، ص.1117.

[45]- محمد محمود الحويري، **المرجع السابق** ، ص.60.

[46]- ابن الجوزي ابو الفرج عبد الرحمان، **المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تح: محمد عبد القادرعطة وأخرون، ط.1، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، (1412ه/1987م)**،ج.18 ،ص.636.

[47]- نبيلة إبراهيم مقامي، **المرجع السابق**، ص.ص.433-434.

[48]- ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ط.4 ، مراجعة وتصحيح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(1424ه/2003م)، مج.10، ج.1،ص.144.

[49]- نعيم فرح، **المرجع السابق**،ص.ص.256-257.

[50]- جوناثان ريلي سميث، **الحملة الصليبية الأولى فكرة الحروب الصليبية** ، تر : محمد فتحي الشاعر،ط.2، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1999م ،ص.45

[51]- سهيل زكار، **المرجع السابق**،ص.190.

[52]- محمود سعيد عمران، **معالم تاريخ اروبا في العصور الوسطى** ، دار المعرفة الجامعية ، د.ت ،ص.156.

[53]- جوزيف نسيم جوزيف، **الإسلام والمسيحية** ،ص.162.

[54]- سعيد عبد الفتاح عاشور، **تاريخ أروبا**،ص137.

[55]- نعيم فرح، **نفس المرجع** ،ص.243.

[56]- محمد الخطيب، **المرجع السابق**،ص.ص.134-135.

[57]- نعيم فرح، **المرجع السابق**، ص.255

[58]- سعيد عبد الفتاح عاشور، **اروبا** ،ص.45.

[59]- نعيم فرح، **المرجع السابق** ،ص.255.

[60]- سعيد عبد الفتاح عاشور، أروبا، ص.35.

[61]): محمد الخطيب، **المرجع السابق** ،ص.85.

[62]- سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا ، المرجع السابق، ص. 123 .

[63]- نعيم فرح: **المرجع السابق**، ص. 299

[64]- محمد لمين بلغيث، محمد لمين بلغيث، **نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي**، الطبعة الأولى، دار الخلدونية، الجزائر، 2007م، ص. 132.

[65]- نور الدين حاطوم، المرجع السابق، ص.119.

[66]- جوزيف نسيم جوزيف، **تاريخ العصور الوسطى** ،ص.287.

[67]- زيغريد هونكة، **شمس العرب تسطع على الغرب**، تر. فاروق بيضون وآخرون، ط.8، دار الجيل، (1413هـ/1993م)، ص.82.

[68] - رؤوف حبيب، **تاريخ الرهبة والديرية في مصروآثارهما على الانسانية على العالم**، مكتبة المكتبة ، الفجالة ،القاهرة ،د.ت، ص. ص. 89 -90-91

[69]- توفيق الطويل، **قصة الصراع بين الدين والفلسفة**، ط03، دار النهضة العربية، 1997م، ص 10.

[70]- أحمد علي علجية، **أثرالكنيسة على الفكرالأوروبي**، دار الآفاق العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م، ص. ص.06-07-08

[71]- نفس المرجع، ص 09

[72]- ودانة أحمد، **أوروبا في العصور الوسطى**، محاضرات مقدمة لطلبة السنة الثانية ليسانس، تاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة جيلالي بونعامة، سنة 2020 .